

قراءة: في كراسات التدريب (بخيب محفوظ)

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD270912.pdf>

بروفيسور يحيى الرخاوي

mokattampsych2002@hotmail.com - rakhawy@rakhawy.org

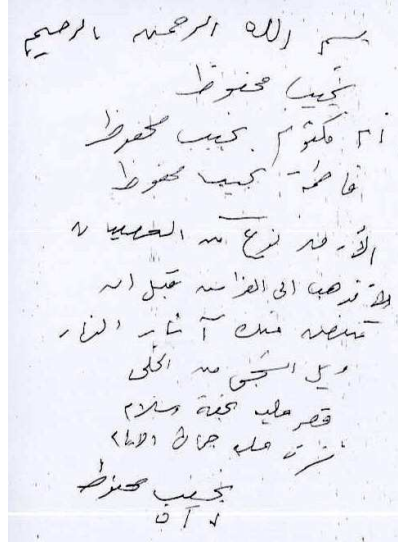
نشرة "الإنسان والتطور" 2012/09/27

السنة الخامسة - العدد: 1854



بسم الله الرحمن الرحيم

نجيب محفوظ
أم كلثوم نجيب محفوظ
فاطمة نجيب محفوظ
الأرق نوع من العصيان
لا تذهب الي الفراش قبل ان
تنفض عنك آثار النهار
ويل للشحى من الخلي
قصر عليه تحية وسلام
نشرت عليه جمالها الأيام
نجيب محفوظ
1995/5/7



القراءة:

تصادف أن جاء دور هذه الصفحة لأقرأها بعد أن انتهيت مباشرة من كتابة المقال الثانى فى نقد رواية "حديث الصباح والمساء" وقد وددت يا شيخى الكريم أن أقرأه عليك، وهو عن تفاعل وجدل هذه العينة من المصريين تجاه ثوراتهم عبر قرنين من أول ثورتى القاهرة ضد الفرنسيين عامى 1800، 1802، وحتى حركة/ثورة يوليو 1952، وقد جعلنى هذا المقال الثانى استعيد حوارنا حول هذه الرواية الذى ذكرت بعضه فى المقال الأول فى دوريتك الرائعة، وقد أصبح أ.د. حسين حمودة صديقنا رئيس تحريرها، وقد كنت معى يا شيخى طول الوقت، فرحت أشكره، وأنا أعلم منك، وأبهر بذاكرتك، وأحنى لإبداعك، ما هذا؟ كيف جمعت هذه الخيوط جميعا فى كل هذه الإبر معا وأنت تقوم بتطريز هذا الإبداع هكذا؟ كان عمرك بين الخامسة والسبعين والسابعة والسبعين، (صدرت الرواية سنة 1987)، حفظك الله وبارك فيك، ثم يأتى الدكتور مصطفى عبد الغنى - سامحه الله - فى كتابه "نجيب محفوظ الثورة والتصوف" فى الفصل السادس بعنوان "ارحموا الشيخ" فيصفك حول هذا العمر، وهو يأخذ بتلابيب رجاء النقاش قائلا: "... لم يرع السن، سن المتحدث وقد جاوز الثمانين حيث تتلاحق عليه أخطاء السنين فتكاد تحولها (ذاكرتك سيدى) على حد تعبير جبرا إبراهيم جبرا إلى ما يشبه الذاكرة المثقوبة... الخ" ما هذا يا د. مصطفى؟ ما هذا؟ ولعلك شيخى تذكر تعليقى على ما كتبه عنك فى الأهرام ذات يوم، المهم د. مصطفى لم يكن معنا حتى آخر لحظة قبيل أن تغادرنا مؤقتا، ولم يعرف حدة ذاكرتك حتى آخر لحظة، وقد وصف لقاءك بيننا فى نفس السياق وأنت لا تسمعنا ولا تلتفت لما يدور حولك لكبر السن، بأى حق يكتب هذا الكلام وينشره ونحن شهود مازلنا نقرأ ونكتب، ثم انه لم يرك بيننا أبدا ونحن نستلهم ذاكرتك ونعجب بها، سامحه الله وغفر للجميع، ومع أننى اتفقت مع د. مصطفى فى بعض نقاط نقده لكتاب النقاش إلا أننى رفضت استشهاده بشهادتى التى لم تصله بما أردت، ولعله لم يقرأ لاحقا ما سجلته فى مقال النقد الأول لنفس الرواية فى دوريتك (العدد 4 لسنة 2011) عن روعة وتحدى ذاكرتك وأنت تكتب هذه

الرواية هكذا يا شيخى الجليل، لقد كتبت كيف تعلمت من هذه الرواية معلومات جديدة عن قوة الذاكرة البشرية وطبيعتها بغض النظر عن السن أو عن الأمراض المتهمة بإضعافها قلت:

خيوط الذاكرة ونسيج الإبداع

"..... الشائع (والثابت علمياً أيضاً) أن الذاكرة تتدهور مع التقدم فى السن. وثمة بحوث، وقياسات، ومعلومات كثيرة تشير إلى ذلك، بل تثبته، وقد لاحظت أن هذا العمل قد كتب والكاتب عمره حوالى سبع وسبعون سنة، وبالقياسات العادية فى هذه السن يحتاج الكاتب لى يكتب عملاً روائياً خطياً مسلسلًا طويلاً كالعادة إلى ذاكرة تفوق المستوى العادى لشخص فى مقتبل العمر، فما بالك إذا كُتِبَ العمل بكل هذا التكثيف، والتوفيق، والحبكة، والتداخل، والتبادل، والتدقيق؟ لأبد وأنه يحتاج إلى حضور ذاكرة خاصة قادرة أكثر وأكثر مما يحتاجه الحكى الإبداعى الطولى، فإذا أضيفت احتمالات تأثير مرض السكر وبعض ارتفاع منقطع فى ضغط الدم، فإن الأمر يصبح دعوة إلى إعادة النظر - علمياً - فى طبيعة الذاكرة ونشاطها عند المبدعين خاصة، للتعرف على ما يحافظ عليها هكذا بمرور السن، إن هذا العمل، بهذه الصورة، فى هذه السن مع هذه الظروف الصحية، يقول: إننا نعرف - عامة وعلمياً - القليل عن ماهية ما نسميه "الذاكرة"، إذ يبدو أنه بقدر ما تتوجه الذاكرة إلى موضوع له دلالتة وغايتة المحورية الضامة عند المبدع خاصة، يظل هذا الشخص محتفظاً بما يجعل هذه الوظيفة تقوم بدورها بكفاءة لا تختل لا بالسن ولا بالمرض، وقد تأكدت من ذلك وأنا أعاشر الكاتب وأقارن ذاكرته بذاكرتى مثلاً، وبذاكرة بقية الحرافيش الأكبر منى سناً، وبذاكرة كثير من المريدين المحيطين به من مختلف الأعمار، ووجدت أن كاتب هذا النص، وهو يقترب من التسعين بسلامة الله، هو أقدرنا حفاظاً على ذاكرة تفوقنا جميعاً على الرغم من ظروفه الصحية، وتوقفه الاضطرابى عن القراءة والمتابعة، بل حتى عن الاستماع للمذيع أو مشاهدة التلفاز مما كان خليقاً أن يخل أكثر بحدة الذاكرة، نتيجة لفتور أو عدم الاستعمال. أعلنت مراراً، وكتبت، أنني أتعلم معارفى النفسية من الإبداع أكثر مما أتعلّمها من المراجع والدوريات النفسية والطب نفسية [1] وفيما يلى بعض ما تعلمته من إضافات وإبداع ما هو ذاكره وما هو "وعى" من هذا العمل بوجه خاص" (انتهى المقتطف)

ثم إنى وأنا أكتب الجزء الثانى من النقد الآن تأكدت - من جديد - من متانة هذه الذاكرة المعجزة حتى آخر لحظة، وتذكرت كم مرة سألت شيخى هذا عن اسم الشيخ الذى تصادم مع د. عبد الرحمن بدوى بالقرب من ميدان الأوبرا وهو الذى حكى لى هذه الحادثة وكنت دائماً أنسى اسم الشيخ فيعود الأستاذ يذكرنى به وهو الشيخ كامل عجلان ثم أنساه فيذكرنى به من جديد، !!! الله يسامحك مرة أخرى يا دكتور مصطفى عبد الغنى، وشكراً يا شيخى لهذا العمل المعجزة مرة أخرى، وأرجو أن يعجبك الجزء الثانى من قراءتى النقدية له.

نرجع مرجوعاً إلى صفحة اليوم فنجد أن ما ورد من قبل يشمل: قصر عليه تحية وسلام: ورد هذا النص فى الصفحة رقم (12) نشرة: 2010/2/11، وفى صفحة التدريب رقم (53) نشرة: 2012-1-12، وفى صفحة التدريب رقم (75)، نشرة: 2012-5-10، كما وردت العبارتان معاً هكذا: قصر عليه تحية وسلام، نشرت عليه جمالها الأيام فى صفحة التدريب رقم (39)، نشرة: 2011-10-13. فنحيل القارئ إليهما.

أما ما لم يرد من قبل فهو جديد مثير، ولعل شيخى قد بلغه أنى انتهيت من نقد "حديث الصباح

والمساء"، وأصبح في مقدوري أن أرجع لتدريباته بوقت أرحب قليلا، فلم يبخل علىّ - علينا - بكل هذا الجديد.
أولا:

* الأرق نوع من العصيان

* لا تذهب الي الفراش قبل ان تنفض عنك آثار النهار

أما القول السائر "لا تذهب إلى الفراش قبل أن تنفض عنك آثار النهار" فلم يشدني كثيراً، فأنا عادة لا أنصح بمثل ذلك بهذا الشكل المباشر، وأعتقد أنها نصيحة صعبة التنفيذ في هذا العصر، وإلا فلن يذهب أي منا إلى الفراش، وفي نفس الوقت أعتقد أن شيخي لم يخطر له هذا المعنى المسطح، وإنما تصورته ينصحنا بأن نفض آثار النهار ليس كما نفض آثار طفيفة السجارة في الطفاية، وإنما بمعنى القدرة على تسليم نفوسنا لبارئها" كما نتعلم من هدى ديننا من دعاء النوم: **باسمك ربي وضعت جنبي، وبك أرفعه اللهم إن قبضت نفس فاغفر لها....الخ** هكذا أقر وأعترف أنني أنفض عن نفسي آثار النهار، ولكن ليس باصطناع النسيان أو بقدر من الكبت أو التغافل، وإنما بالاستعداد للولادة الجديدة فالبعث الذي يتأكد بدعاء الاستيقاظ الحامد: **"الحمد لله الذي أحياني بعد ما أماتني وإليه النشور"**.

أما الجملة الأولى فقد شدتني فعلا "الأرق نوع من العصيان" إلى ما تستحق، وقد فكرت في هذا القول ووضعت له عدة احتمالات:

فقد يمكن أن يكون عصيانا من النوع الذي أشار إليه الخيام:

أفق خفيف الظل هذا السحر * نادى دع النوم وناغ الوتر
فما أطال النوم عمرا ولا * قصر في الأعمار طول السهر

• وقد يكون عصيانا بمعنى رفض الاستسلام لوعى آخر (وعى النوم أو وعى الحلم) غير وعى اليقظة، وكأنه عصيان للإستسلام لدورة الإيقاع الحيوى بين النوم والحلم واليقظة، فيأتى الأرق يؤكد فعل الإرادة المغرورة في مواجهة هذه الدورة بالتدخل لكسرها.

• وقد يكون عصيانا بمعنى رفض النوم الهروبى، فيكون إعدادا للمواجهة فالمسؤولية.

أذكر جيدا كيف كان شيخي يخشى الأرق بعد الحادث، ولمدة شهور فسنوات، وأننى حين كنت متأخر عن تزويده بهذا المهدئ البسيط كان يقلق بشكل مبالغ فيه، حتى استطاع أن يستغنى عنه بفضل غيرى، وبقوة تحديه بشكل تلقائى سلسل، ولم أناقشه فى ذلك بل فرحت أنه لم يستشرنى فيه، لأننى كنت سأتردد فى حرمانه منه مع أنه لم يكن يزيد أبدا جرعته، يا ترى هل استطاع أن يروض عصيانه بمرور الأيام فاستغنى عنه؟ ربما! وتعلمت منه وعنه ذلك أيضا.

وأخيرا فإن المثل القائل: **"ويل للشجى من الخلى"** فقد استجلب عندى تلقائيا أقوالا موازية من تراثنا العامى مثل **"خلّ الهم لأصحابه"**، وأيضا **"عوام ياللى على شط الهوا عوام"** وبحره لو تنزله راح يكثر اللوامه

والشجى بالهم هو الذى لم يجد منه مخرجاً،(الوسيط)

أما الخلى فهو "الفارغ البال من الهم، قيل "ومن لا زوجة له" (الوسيط)

وأحسب أن كل هذه المعانى قد حضرت شيخي بشكل ما.

الذى استبعدت أن استشهد به هو تلك الرواية السخيفة التى ذكرت فى التراث عن امرأة كانت فى زمن لقمان بن عاد وكان لها زوج يقال له الشجى، وخليل يقال له الخلى...الخ فقد شعرت أنها رواية مسطحة وبصراحة رجحت أن قد تكون موضوعة... فرفضت الاستشهاد بها واستبعدتها.

ولكنى لم أستبعد حضور شعر الصحابى الجليل الأسود بن أبى الأسود النهدي الذى يقول فيه:

لا تته عن خلق وتأتي مثله . عارٌ عليك إذا فعلت عظيم

إبدأ بنفسك وانهاها عن غيرها . فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

فهناك يقبل ما وعظت ويقتدى . بالعلم منك وينفع التعليم
ويل الخلي من الشحي فإنه . نصب الفؤاد بشجوه مغموم

[1]- يحيى الرخاوى "تبادل الأقنعة" دراسة في سيكولوجية النقد، الهيئة العامة لقصور الثقافة 2006

*** **

وحدة الدراسة والبحث في الإنسان والتطور

"وحدة بحث في قراءة النص البشري من منظور تطوري انطلاقاً من فكر يحيى الرخاوي"

نشرة الإنسان والتطور (الإصدار الفطلي حسب المحاور)

شباط 2012

عندما يتحرك الإنسان

مع ملحق حدود بريد الجمعة

www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookWinter12.pdf

www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookWinter12.exe

بروفيسور يحيى الرخاوي

rakhawy@rakhawy.org

mokattampsych2002@hotmail.com

*** **

للتسجيل في وحدة الدراسة و البحث في الإنسان و التطور

أرسال طلب إلى بريد الشبكة

arabpsynet@gmail.com

مصحوبا بالسيرة العلمية من خلال النموذج التالي

<http://www.arabpsynet.com/cv/cv.htm>

كامل نشراته " الإنسان و التطور " (اليومية) على الويب

<http://www.rakhawy.org>

www.arabpsynet.com/Rakhawy/IndexRakAr.htm

آخر الأبحاث المنزلة بالشبكة

www.arabpsynet.com/documents/DocIndexAr.htm

مراسلات الشبكة على الفيس بوك

<http://www.facebook.com/Arabpsynet>